

أثار الدولة المرابطية

أولاً-المسجد الجامع بتلمسان

تاريخه:

يعتبر هذا الجامع من أجمل الآثار الباقية اليوم من عصر المرابطين، و هو يندرج ضمن مجموعة المساجد المرابطية بالجزائر التي تضم أيضا مسجدي العاصمة و ندرومة، و قد شرع في بناء جامع تلمسان يوسف بن تاشفين عقب استلائه على المدينة سنة 475هـ ، ثم تناوله من بعده علي بن يوسف بن تاشفين بالزيادة و الزخرفة منذ عام 530هـ ثم أعاد ترميمه و إصلاحه يغمراسن بن زيان أمير الزيانيين الذي أعطاه صورته الحالية.

الوصف العام للمسجد:

جامع تلمسان بناء مستطيل الشكل طوله من الشمال الى الجنوب 55مترا و عرضه من الشرق الى الغرب 50مترا ، و تصميمه غير منتظم على مستوى الجدار الشمالي الغربي بسبب طبوغرافية الموقع. و هو يتألف من بيت صلاة مستطيلة الشكل و صحن مربع تكتنفه من الغرب مجنبه تتألف من أربع بلاطات الاثنتان الطرفيتان منها غير كاملة ، أما المجنبه الشرقية فتتألف من ثلاث بلاطات تعتبر امتدادا لبلاطات بيت الصلاة .و بالجهة الشمالية ترتفع الصومعة التي بناها يغمراسن سنة 1236 و هي ذات شكل مربع، كما تتميز هندسة المسجد باستعمال العقود على شكل حدوة الفرس متجاوزة و منكسرة معاً و أخرى متعددة الفصوص مزخرفة خاصة بجانب المحراب.

وصف بيت الصلاة:

بيت الصلاة في جامع تلمسان ذات شكل مستطيل، تتألف من 13بلاطة عمودية على جدار القبلة و تستند عقود الجامع على خمسة صفوف من الدعائم تمتد بحذاء جدار القبلة. و كل منها يشتمل على 12دعامة و هذه الصفوف من الدعائم تقسم بيت الصلاة إلى ستة أساكيب

تمتد من الشرق إلى الغرب، و هنا يمكن الإشارة الى أنه يمكن تمييز أو تقسيم الأساكيب إلى مجموعتين كل منها يضم ثلاثة بحيث يفصل بين المجموعتين دعائم مصلبة الشكل تقوم عليها بائكة من العقود المتعددة الفصوص تقطع بيت الصلاة عرضيا، و العقود الأخرى المتجهة عموديا على جدار القبلة فهي من النوع المنفوخ الذي يشبه حدوة الفرس ، أما المحراب المتقن الصنع و الذي يحمل زخارف جصية نباتية و كتابية يذكرنا بمحراب جامع قرطبة، فهو ينفتح بقوس متجاوز داخل إطار مستطيل بفقرات مزدوجة الألوان تنتهي جنباتها بعقد متعدد الفصوص. و تتقدم المحراب قبة مخرمة مكونة من 16 ضلعا على نحو ما هو موجود في جامع القيروان.

تسقيف بيت الصلاة منشوري الشكل أو مسنم مثل تسقيف جامع قرطبة تماما، و هو من الخشب المسطح و بما أن البلاطة الوسطى أكثر اتساعا من غيرها يتوج سطحها قبتان واحدة منها تقع بأعلى الأسطوان الأوسط من القسم الشمالي من البلاطة الوسطى و الثانية تتقدم المحراب و هي من النوع القائم على الضلوع المتقاطعة .

مراحل تخطيط بيت الصلاة و تطورها:

لم يشهد تخطيط بيت الصلاة لجامع تلمسان أي تطور او زيادة في الشكل الهندسي العام لها، لان الجامع في هيأته الحالية هي نفسها منذ بنائه الأول و انما التغيير الذي يكون قد مسّه و الزيادة تكمن بالخصوص في الزخارف الرائعة التي يزدان بها خاصة في وجه المحراب و جداره و البلاطة الوسطى و هي من أعمال علي بن يوسف سنة 530هـ.

كما يرى جورج مارسيه أن يغمراسن بن زيان هو الذي أضاف الى الجامع القسم الشمالي من مسطح بيت الصلاة بما في ذلك القبة الثانية و الصحن و المئذنة ،و مقابل ذلك فيرى الأستاذ عبد العزيز سالم أن بيت الصلاة كانت قائمة على حالها منذ عهد علي بن تاشفين، و أن مهندس الجامع تأثر في بنائه بجامع قرطبة و في هذه الحالة تصبح أعمال بني عبد الواد في المسجد مجرد ترميمات لبناء كان قائما بالفعل منذ عهد يوسف بن تاشفين .

ثانيا-جامع الجزائر الكبير

تاريخه:

يعد جامع الجزائر الكبير ذو التصميم العربي نموذجا للعمارة الدينية المرابطية بالإضافة الى كونه أكبر و أقدم مساجد العاصمة حاليا، أمر ببناء هذا الأثر الجميل يوسف بن تاشفين أول أمراء المرابطين، و يرجح أن بنائه كان سنة 475هـ و هي السنة التي بني فيها جامع تلمسان. أما الفراغ من بنائه فكان عام 490هـ و هو التاريخ المسجل على منبره ، و قد أدخل عليه الكثير من الترميمات مستّ خاصة الجانب الجمالي منه أما الهيكل الهندسي العام فهو من زمن المرابطين كليا .

الوصف العام للجامع:

الجامع ذو شكل مستطيل بعمق أقل و هو مغطى بسقف مزدوج من القرميد كما هو الحال في جميع المساجد المرابطية، يتم الولوج إلى الصحن بواسطة رواق يؤدي الى ثلاث مداخل في الواجهة الشمالية و تحيط بالصحن أروقة هي في الاصل امتداد لبلاطات قاعة الصلاة . يوجد في الزاوية الشمالية الشرقية باب الجنينة بمختلف غرفه المخصصة للإمام إضافة الى المئذنة التي تشكل - بفضل موقعها. داخل المسجد إحدى الخصوصيات المميزة لمآذن بني عبد الواد.

وصف بيت الصلاة:

تتخذ بيت الصلاة الشكل المستطيل، و هي مؤلفة من إحدى عشر بلاطة موازية لجدار القبلة أوسعها بلاطة المحراب إضافة إلى خمسة أساكيب مشكلة عقود تقوم على دعائم حجرية إذ أن عقود الأساكيب الموازية لجدار القبلة على شكل حدوة الفرس أما عقود الأروقة المؤدية الى جدار القبلة فهي مدببة مفتوحة، و الملاحظ على بيت الصلاة هو ان جدران العقود نالت الحظ الأوفر من الزخرفة المتشابكة و المتداخلة مع بعضها البعض و يعد هذا الأمر من

الأمور التي برع فيها الفنانون المغاربة دون غيرهم حيث ابدعوا أيما ابداع بزخارفهم على الخشب و الحجر و الجص .

و لهذا كانت بوائك هذا الجامع المظلة على الصحن آية في الجمال و التناسق و فصوصها من أجمل ما صنعه المسلمون في هذا الطراز، أما المحراب فهو عبارة عن كوة مكسورة الزوايا يحد مدخلها عمودان حلزونيان يعلوهما قوس قوطي ذو زخارف جصية بارزة و بجانب المحراب ينفتح بابان يؤديان إلى غرف صغيرة.

مراحل تخطيط بيت الصلاة و تطوره:

هو الآخر على غرار جامع تلمسان، بيت الصلاة بجامع الجزائر بني مزغنة لم تعرف أي تطوير أو زيادة في حدودها الهندسية الرئيسية التي بقيت على حالتها الأولى الى اليوم اللهم الزيادات الملحقة كالمئذنة التي بنيت العام 1324م و الزخارف الملونة التي تعود للعهد التركي.

ثالثا - جامع القرويين بفاس

يرجع تاريخ إنشاء هذا المسجد إلى فاطمة بنت محمد الفهري أيام حكم دولة الأدارسة ، حيث شرعت في بناء جامع القرويين في مستهل رمضان من العام 245هـ ، عندما ضاق جامعي العدوتين وهو نفسه جامع الشرفاء الذي بناه إدريس بعدوة القرويين ، و يعدّ هذا الجامع هو الآخر من المساجد الشهيرة ببلاد المغرب، إذ لعب منذ تأسيسه دوراً دينياً و ثقافياً محوريا و قد كان بروز هذا الصرح الديني منذ عهد يحيى بن محمد حيث شهدت فاس في عهده ازدهار العمران. و في هذا الصدد يقول ابن خلدون: "واستجدت فاس في العمران و بنيت بها الحمامات و الفنادق للتجار و بنيت الأرياض و رحل إليها الناس من الثغور القاصية" ، و لما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس أمر بهدم الأسوار التي تفصل عدوتي القرويين و الأندلسيين و جعلها مدينة واحدة و كان اهتمام يوسف بن تاشفين بمدينة فاس واضحا جدا رغم اتخاذ مدينة مراكش عاصمة له و

في هذا الصدد يورد الجزائى: "...و ما زال كبير لمتونة و أميرها، يوسف بن تاشفين في زيادة المساجد و سقاياتها و حماماتها و خاناتها و إصلاح أمورها..." .

في سنة 530هـ غير المرابطون من شكل القرويين كثيرا عما كان عليه قبلهم مع المحافظة منذ البدء على أصولها الأولى، وذلك باحتفاظهم على تصميم البلاطات الموازية لجدار القبلة، و هذه الزيادة كانت بأمر من الأمير أحمد بن أبي بكر الذي مدّ في البلاطات العرضية مسافة خمسة عقود شرقا و أربعة غربا، ثم أضاف لبيت الصلاة بلاطات عرضية شمالا فشغلت هذه البلاطات الجديدة الصحن القديم ، وأصبح بذلك المسجد يتكون من عشرة بلاطات عرضية موازية لجدار القبلة وواحد وعشرون أسكوبا ، تركز هذه البلاطات على أعمدة أو سواري مبنية من الآجر المشوي و على عقود متجاوزة كاملة الاستدارة مما منح بيت الصلاة تناسقا واضحا يوحد بين كل الزيادات التي خضع لها الجامع ككل، كما نجد الزخرفة المتنوعة الرقيقة في البلاطة الوسطى التي جمعت بين الأشكال النباتية و الخطية و المقرنصات و الدهانات. كما بُنيت قباب البلاط الأوسط و نُفِذَت الزخارف الباقية إلى اليوم في قبتين منه مزينة بنقائش فريدة تبرز أن الأعمال كانت جارية خلال عام 531هـ و انتهت سنة 537هـ، إضافة إلى ذلك نجد الزخارف النباتية في الرواق الأوسط في حين أن المئذنة كانت تقوم على الواجهة الشمالية للمسجد في محور المحراب شأنها في ذلك شأن مئذنتي جامع القيروان و قرطبة و مئذنة العروس بجامع دمشق .

رابعا - القبة المرابطية بمراكش (قبة الباروديين) :

من أهم ما خلفه لنا المرابطون في مدينة مراكش قبة الباروديين ، و هي من أروع ما أنتجه الفن المرابطي وهي تقع بالقرب من المسجد الذي بناه علي بن يوسف ، و لعلها شيدت ما بين 514-525 هـ من طرف الأمير علي بن يوسف الذي يظهر اسمه بشكل واضح في بقايا النقش المكتوب في قاعدة القبة بالخط الكوفي، و يعتبر تصميم هذه القبة عملا فنيا فريدا من نوعه كونها احتوت على مجموعة من الزخارف متقنة الصنع ، و ربما قصد بها أن تكون مدفنا لإحدى الشخصيات الكبيرة ثم تحولت آخر الأمر على مiazza .

يتخذ مبنى القبة شكلا مستطيلا يرتكز على أعمدة جانبية تعلوه قبة مزخرفة من الخارج بأقواس منحوتة ، و يعلو هذا التصميم شرافات تؤطر نجمة سباعية الأضلاع و تحيط بالقبة شرافات مدرجة في الجانب العلوي ، ينفتح تصميم هيكل القبة من جهتيها الشمالية و الجنوبية بقوسين مزدوجين على شكل حدوة الفرس ، أما في الجهة الشرقية و الغربية فنجد قوسين مفصصين . وتحتوي القبة المرابطة مستويين متميزين بوضوح ، يفصل بينهما على ارتفاع خمسة أمتار وشريط زخرفي رقيق بارز قليلا، وتتكون زواياها الخارجية من أربع دعائم متينة وقوية ، و هي بطول سبعة أمتار ونصف وعرضها خمسة أمتار ونصف، أما ارتفاعها فقد بلغ الإثنا عشر مترا ، أما من الخارج فهي مزخرفة بزخارف محفورة بأقواس تعلوها عوارض خشبية رسمت نجمة سداسية، والتي أكسبتها مظهراً جمالياً فريداً ساهم فيها التوريق والكتابة والتسطير لتشكل بذلك لوحةً متناهية الدقة والتوازن .